التسامح وتأثير الإعلام البديل[1]

أ.د. صالح خليل أبوأصبع

جامعة فيلادلفيا

• مدخل عن التسامح :

التسامح قيمة إنسانية ذات معنى أخلاقي سامية الأهداف، وله أهميته في التواصل الإنساني. ومن خلال موضـــوعات هذا الكتاب التي كتبها زملاء مختصـــون يبدو لنا كيف أن التســـامح له أبعاد نفسية و سلوكية، وله أبعاده الأيدلوجوبية والدينية والسيا سية. ومن هنا فإن تأثيراته تتجاوز حدود الفرد لتنعكس على ممارساته وتفاعله مع الاخرين في إطار المجتمع المحلي والدولي.

فهل يمكننا تصور تعامل شخص متحامل أحادي النظرة منغلق الرؤية في تواصله مع أفراد مجتمعه وفي تعامله مع جيرانه ومع زملائه في العمل، كيف سـيكون موقفه من الآخرين. ويمكننا أن نتصـور كذلك كيف سيكون موقفه في اتصاله مع الآخرين من ثقافات أخرى ؟

إن السـمات التي يمكننا بها تمييز عمليات التواصـل لدى هذا الشـخص سـتتسـم بعدم قبول الآخر والتحيز والتمييز وتبني الصـــور النمطية الخاطئة عن الآخرين، وعدم القدرة على التعايش مع الآخرين. وسيتسم سلوكه بشكل من أحد أشكال التعصب الفكري أوالديني أوالمذهبي أو العرقي.

الإسلام والتسامح

والإسلام في جوهره دين تسامح يتسم بمبدأ حرية العقيدة إذ يحض على التسامح الديني والفكري مع غير المســلمين حيث (لا إكراه في الدين)، وحرية التعبير والحوار فيه مصــانة من خلال [ادْعُ إِلِى سـَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسـَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسـَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَـلَّ عَن سـَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ] (النحل/125)، و يحث على الحوار السـمح مع أهل الكتاب [وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إلا بِالَّتِي هِيَ أَحْســَنُ] (العنكبوت/ 46). ويحض الاســلام على التســامح في التعامل بقوله تعالى: ["وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ❖ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ"] (فصلت/ 34-35). والليونة والتشاور والمساواة بين الناس هي من أساسيات سلوكيات التسامح ويظهر ذلك في الآيتين الكريمتين : [فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ

---

1. نشـــرت في كتاب التســـامح قوة المقدرة بحث بعنوان " التســـامح وتأثير الإعلام البديل": الكويت الثاني عشـــر. منشورات مجلة الكويت ، عدد 369 ، يوليو 2014. ص ص (75 - 83)

وَاســْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشــَاورْهُمْ فِي الأمْر] (آل عمران/ 159). [يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ..] (الحجرات/ 13).

الأمم المتحدة والتسامح

من هنا ننظر إلى التسامح باعتباره قيمة من قيم الخير الإنسانية وأساسا لتعامل الناس في المجتمع الصالح.

وقد صدر عن الأمم المتحدة أربع عشرة وثيقة دولية ذات علاقة بحقوق الإنسان مما يجعل أمر التسامح أمراً لازماً وهدفاً رئيساً في العلاقات الإنسانية، وخصوصاً أننا بتنا نرى أن مظاهر عدم التسامح أصبحت أشبه بظاهرة عالمية تتمثل بالعدوان والعنف والإرهاب والحروب وكراهية الأجانب والعنصرية والتعصب الديني والتمييز ضد الأقليات والمهاجرين، وتزايد الإرهاب الفكري وممارسة قتل المخالفين للفكر والمذهب والعقيدة.

وقد حدد مؤتمر القمة العالمي لمجتمع المعلومات والإعلام عام 2005 .القيم التي ينبغي أن تقوم عليها أسس مجتمع المعلومات كما يلي :

"تعتبر القيم الإنسانية العالمية، المتمثلة في المساواة، والعدالة، والديمقراطية، والتضامن، والتسامح المتبادل، والكرامة الإنسانية، والتقدم الاقتصادي، وحماية البيئة، واحترام التنوع أسس لمجتمع معلومات عالمي يكون شاملاً بمعنى الكلمة "1

تعريف اليونسكو للتسامح

وقد حدد [إعلان مبادئ بشأن التسامح]، الذي اعتمده المؤتمر العام لليونسكو في نوفمبر 1995، معنى التسامح في المادة الأولى من البيان : (إن التسامح يعني الاحترام والقبول والتقدير للتنوع الثري لثقافات عالمنا ولأشكال التعبير وللصفات الإنسانية لدينا. ويتعزز هذا التسامح بالمعرفة والانفتاح والاتصال وحرية الفكر والضمير والمعتقد. وأنه الوئام في سياق الاختلاف، وهو ليس واجبا أخلاقيا فحسب، وإنما هو واجب سياسي وقانوني أيضا، والتسامح، هو الفضيلة التي تيسر قيام السلام، يسهم في إحلال ثقافة السلام محل ثقافة الحرب،إن التسامح لا يعني المساواة أو التنازل أو التساهل بل التسامح هو قبل كل شئ اتخاذ موقف إيجابي فيه إقرار بحق الآخرين في التمتع بحقوق الإنسان وحرياته الأساسية المعترف بها عالميا.)2

ويحتاج فهم دور الإعلام في تعزيز ثقافة التسامح منا فحصا لأربعة عناصر تتمثل في: فهم الإعلام البديل وخصائصه ومعرفة وظائف الإعلام , ثم التعرف على نظريات تأثير وسائل الإعلام التي يمكن توظيفها في تعزيز ثقافة التسامح , وأخيراً التعرف على الدور المتوقع لوسائل الإعلام البديل في تعزيز ثقافة التسامح.

- **أولا: الإعلام البديل وخصائصه**

تقدم ثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصـــال فرصـــاً هائلة لتعزيز "الإعلام التقليدي" ودمجه بالإعلام الجديد(البديل). وتؤدي الثورة الرقمية إلى نشـــوء أشـــكال جديدة تماماً من التفاعل الاجتماعي والاقتصـادي وقيام مجتمعات مرتبطة بالانترنت. حيث تسـمح للناس بالوصـول سـريعاً وتقريبا في نفس اللحظة إلى المعلومات والمعرفة الموجودة في أي مكان بالعالم.

يتمثل الإعلام البديل في وسائل الإعلام الاجتماعية المتمثلة بالأنشطة المرتبطة بالإنترنت من تفاعل الناس وتواصـلهم لإنشـاء المضـامين والمشـاركة فيها ، وتبادلها والتعليق عليها في شـــبكة الانترنت . ومضـــامين وســـائل الإعلام الاجتماعية هي المدخلات التي يحمّلها الناس وينشـــرونها على شـــبكة الإنترنت مثل الأخبار والمعلومات والأراء والمراجعات والخواطر الإبداعية والصور أو أشرطة الفيديو ، ، و الألعاب والإعلانات وغيرها .

وتوحي الطبيعة الاجتماعية للإعلام البديل بالتفاعل الاجتماعي الذي يحمل معه بعضـــا من خصائص الاتصال الشخصي . إذ تتيح الشبكات الاجتماعية توفير التواصل بين الناس و تفاعلهم بوجود أشخاص يقومون بنفس العمل بإنشاء المضامين وتحميلها والمشاركة بها وتبادلها والتعليق عليها عبر شبكات تمكن الناس من المشاركة بسهولة على شبكة الانترنت باستخدام الوسائط مثل الكاميرات الرقمية و الهواتف الذكية مما خلق فرصـا جديدة للتواصـل باسـتخدام الرسـائل الفورية، الرســـائل النصـــية ، البريد الإلكتروني وغرف الدردشـــة ، والمدونات ومواقع الشـــبكات الاجتماعية.[3]

ويتمثل الدور الحالي لمجتمعات الشـبكات الاجتماعية بأنها وسـيلة جمع المعلومات والأخبار العاجلة و المعرفة وتبادلها بالاضـافة إلى كونها منصـات للتواصـل الاجتماعي . إذ تسـاعد وسـائل الإعلام الناس على المتابعة والبحث والتصفح والمناقشة والحوار الفعّال ومواكبة الأصدقاء أو الزملاء ، والمساهمة في المناقشات عبر الإنترنت أو التعلم من الآخرين ..

ويقود اليوم الإعلام البديل بشبكاته الاجتماعية العديدة مثل الفيسبوك و تويتر واليوتيوب ولينكدين إلى أشـــكال جديدة من التفاعل الاجتماعي ، والحوار والتبادل و التعاون، مما يمكن المســـتخدمين من تبادل الأفكار ، وإضـــافة آخر التحديثات و التعليقات، أو المشـــاركة في الأنشـــطة والفعاليات ، حول الاهتمامات و المصالح المشتركة .4

ويكفي أن نشـير إلى الدور الحاسـم الذي لعبته هذه الشـبكات فيما عرف باسـم ثورات (الربيع العربي) مثل استخدام الفيسبوك والتويتر واليوتيوب سواء فيما يتعلق بالتنظيم والتحريض أو نشر الأخبار وكشف الفضائح . ويشير حجم الأرقام إلى مئات الملايين المشاركين بالشبكات الاجتماعية

ويكفي أن نشير إلى أن 4.2 مليار من الناس استخدموا أجهزتهم النقالة للوصول إلى مواقع وسائل الإعلام الاجتماعية وأن لدى الفيسبوك (Facebook) الآن أكثر 1.19 مليار مستخدم نشط شهريا اعتبارا من 30 سبتمبر 2013. أصبح هناك 727 مليون مستخدم نشط يوميا وتويتر لديه 554,750,000 مسجل. وهذه الأرقام تستدعي الاهتمام بتوظيف هذه الوسائل لترويج روح التسامح في المجتمع .

• ثانياً: معرفة وظائف الإعلام

يقوم الاتصال بمجموعة أساسية من الوظائف ، التي تحقق مجموعة من التأثيرات المتنوعة ، سواء على مستوى الفرد ، أو الجماعة ، أو المجتمع . ومن الوظائف التي لها دورها في إشاعة روح التسامح ما يلي:

- **وظيفة الأخبار**
- **وظيفة التعليم .**
- **ترابط المجتمع ونقل تراثه .**
- **تشكيل الرأي العام.**
- **ترتيب الأولويات للمجتمع .**
- **التأثير على القيم والسلوك وتغييرالاتجاهات.**

وفي مجال التسامح ، تؤثر وسائل الإعلام على السلوك في ظل شروط معينة. فتأثير وسائل الإعلام على السلوك التسامحي يمكن أن يكون فعالا، إذا كان هناك تعرض تراكمي للرسائل التي تحض على التسامح.

وعلى أية حال ، فإن تغييرالسلوك يستغرق وقتاً لحدوثه ، ويعتمد نجاحه على مجموعة من المتغيرات مثل مدى توافق سلوك الفرد وقيمه وحوافزه مع التغيير .

ثالثاً: نظريات تأثير وسائل الإعلام التي يمكن توظيفها في تعزيز ثقافة التسامح

الاتصال عملية معقدة للنشاط الإنساني ، وتختلف مستوياته لتشمل الفرد والجماعة والمجتمع ، ويختلف مضمونه والقدرة على فهمه باختلاف عوامل عديدة . وتختلف كذلك الوسائل المستخدمة في الاتصال من الاتصال الفردي إلى وسائل الاتصال الجماعي إلى الاتصال الجماهيري . وحديثنا

سـيقتصـر على تقديم مختصـر لبعض نظريات التأثير التي نرى أنها تقدم مدخلا لفهم كيفية تفعيل هذه الوظائف في خدمة التسامح وهي :

- **نظرية التعلم الاجتماعي.**
- **نموذج الاستعمال والإشباع .**
- **نموذج وظيفة ترتيب الأولويات/ وضع الأجندة.**
- **نظرية الغرس الثقافي.**
- **نظرية التأطير**

- **نظرية التعلم الاجتماعي**

تتعامل نظرية التعلم الاجتماعي مع الجانب المعرفي الاجتماعي .إذ أن الناس يتعلمون من خلال مراقبة أداء الآخرين ثم التشبه بهم. ووسائل الإعلام هي أداة هامة للتعلم الاجتماعي ، والناس أحيانا يقلدون ما يلاحظونه. لكي تتم عملية التعلم ، يشاهد الناس دون الصور من وسائل الإعلام ويبنون المعنى من الرسالة الإعلامية. وتقوم بعض العوامل المحفزة الداخلية و / أو الخارجيةبالتأثير فيما يتعلمونه من وسائل الإعلام التي تخدم كعامل مهم للتعلم الاجتماعي وفي تشكيل وصيانة القوالب النمطية الاجتماعية .

- **نموذج الاستعمال والإشباع :**

يرى النموذج ان الأفراد يوظفون - بفعالية - مضامين الرسائل الإعلامية بدلاً من ان يتصرفوا سلبياً تجاهها من خلال التركيز على المتلقي . فالأفراد يستعملون الرسائل الاتصالية لأمور كثيرة قد لا يكون لها علاقة بهدف المتصل. ولذلك يرى هذا النموذج ان استخدامات الجمهور للاتصال سوف تلعب دورا وسيطا في عملية التأثير المتوقعة للاتصال، ذلك ان الأفراد بدلا من ان يكونوا مستقبلين لرسائل الاتصال فانهم يسعون إلى استعمال وسائل الاتصال لما يتعلق بحاجاتهم، وإشباع هذه الحاجات.

- **نظرية ترتيب الأولويات**

يؤكد نموذج ترتيب الأولويات - وضع الأجندة- على وجود علاقة إيجابية بين ما تؤكده وسائل الإعلام في رسائلها، وبين ما يراه الجمهور هاماً. أي ان دور وسائل الإعلام يسهم في ترتيب الأولويات عند الجمهور. ومن ثم فإن أجندة و سائل الإعلام تكون هي أجندة المجتمع . وبهذا المعنى فهي تقوم بمهمة تعليمية . ولذلك فالجمهور لا يتعلم من وسائل الإعلام فحسب حول المسائل العامة ، ولكنه كذلك يتعلم كم تبلغ هذه المسائل من أهمية تبعاً للتأكيد الذي تلقاه من قبل وسائل

الإعلام.

- **نظرية الغرس الثقافي**

تستكشف هذه النظرية العلاقة بين مشاهدة التلفزيون وبناء الواقع الاجتماعي. إذ أصبح التلفزيون " المصدر الأساسي للتنشئة الاجتماعية المشتركة والمعلومات اليومية من خلال تكرار أنماط من الأساطير والحقائق والعلاقات، إلخ . وينتج التلفزيون مجموعة متماسكة من الصور و الرسائل. وبالتالي يشترك السكان المتنوعون في تصوراتهم للواقع. و هذا ما يسمى عملية الغرس الثقافي . وتتلخص الفرضية المركزية للنظرية كما يلي: مشاهدو التلفزيون الذين يتعرضون لكميات أكبر من التلفزيون من المتوقع أن يعرضوا أكثر التصورات والمعتقدات التي تعكس رسائل عالم التلفزيون مقارنة بالمشاهدين الذين يتعرضون لكميات أقل من التلفزيون.

- **نظرية التأطير**

تأطير الأحداث والقضايا بطرق معينة هو الطريقة التي قد تشكل بها وسائل الإعلام الرأي العام. وينطوي التأطير على تقديم مصدر الاتصال وتحديد القضية. ويشير بناء الإطار إلى العوامل التي تؤثر على الصفات الهيكلية لإطارات الأخبار. وتحدد العوامل الداخلية للصحافة كيفية تأطير الصحفيين و منظمات الأخبار للقضايا. وتجري عملية بناء الإطار في التفاعل المستمر بين الصحفيين و النخب والحركات الاجتماعية . ويشير التأطير إلى التفاعل بين إطارات وسائل الإعلام والمعرفة المسبقة و ميول الأفراد. ويؤثر تأطير الأخبار على التعلم والتفسير، و تقييم القضايا والأحداث وتتم تأثيرات التأطير على المستوى الفردي بتغيير المواقف حول قضية بناء على التعرض لبعض الأطر.وتساهم الأطر في تشكيل عمليات التنشئة السياسية، وصنع القرار، والإجراءات الجماعية.[5]

إن ما سبق أن اقترحناه في كتاب لنا صدر عام 2010 هو بديل لنظريات التأثير وهو ما أسميناه بمبدأ الاصطياد [6] وهو في حقيقة أمره ينظر إلى عملية تأثير وسائل الإعلام ونجاحها باعتبارها عملية معقدة تحتاج إلى اختيار المتصل الناجح، والرسالة الناجحة، والوسائل المناسبة التي تخاطب الجمهور المعنّي في الظروف الملائمة.

ويظل مبدأ الاصطياد هو فهم متكامل لعملية الاتصال ؛ إذ أنه يشبّه عملية الاتصال بعملية اصطياد السمك ؛ فالصياد الناجح (المتصل) يختار الأداة المناسبة (الوسيلة) ويختار الطعم المناسب (الرسالة) حسب نوعية السمك (نوعية الجمهور) والتوقيت المناسب ويراعي الظروف التي يتم فيها الصيد ، سواء كانت هذه الظروف بيئية أو نتيجة لتدخل الإنسان ، وكذلك فإن تكرار المحاولة يؤدي إلى فرصة صيد أوفر . وكلما كان الظرف يتيح للصياد فرصة استفراده في الصيد كلما كان أمله في الصيد أوفر .

وفي إطار تلك النظريات أخالني لا أجانب الحقيقة إذا قلت أن كل تلك النظريات يمكنها أن تكون فعالة لترويج التسامح (على مستوى الفرد والجماعة والمجتمع) اذا أحسن استخدامها في برنامج أو حملة مدروسة .

ويظل بعد كل هذا ، أن هذه النظريات هي إضاءات على طريق فهم أفضل لعملية الاتصال ، بحيث تتيح لنا فرصة الإجابة عن أسئلة مثل كيف يتحقق التأثير ؟ أو لماذا لا يتحقق ؟ الإجابة الصادقة لا يمكنها أن تنفصم عن عرى سياقها الخاص سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وتقنياً.

• رابعاً: الدور المتوقع لوسائل الإعلام البديل في تعزيز ثقافة التسامح

لابد من الإشارة إلى أن التسامح كقيمة أخلاقية في المجتمع يحتاج بالاضافة إلى دور وسائل الإعلام في تعزيز ثقافة التسامح إلى أكثر من مجرد وجود إجراء قانوني لمحاربة عدم التسامح لمنع ومعاقبة جرائم الكراهية والتمييز ضد الأقليات ، وكذلك محاربة عدم التسامح في التعليم لبناء التسامح من خلال التعليم بالوصول إلى جميع الفئات العمرية وأيضا ضرورة محاربة عدم التسامح عن طريق الوصول إلى المعلومات بتعزيز حرية الصحافة والتعددية الصحفية، من أجل السماح للجمهور للتمييز بين الحقائق والآراء. وأخيرا محاربة عدم التسامح يتطلب الوعي الفردي.7

وهذه الأمور يمكن مناقشتها في وسائل الاعلام عبر حملات منظمة لإشاعة ثقافة التسامح في المجتمع وهذه القضايا هي :

- قبول الآخر
- التسامح
- التمييز
- التعصب
- التشدد
- الإرهاب
- حقوق الإنسان
- العدوانية
- الصور النمطية عن الآخرين
- عدم القدرة على التعايش مع الآخرين

ويمكن لوسائل الإعلام أن تساعد في تعزيز ثقافة التسامح ونشرها من خلال قيامها بتعزيز ثقافة المجتمع والتأثير على الرأي العام وذلك من خلال ما يلي :

1. إسهام وسائل الإعلام بتقديم ثقافة التسامح و الحوار و تعزيزهما بهدف الوصول إلى فئاتٍ متعددةٍ ومختلفةٍ
2. القيام بتعزيز مفاهيم الديمقراطية وثقافة الحوار وقبول الآخر
3. القيام بحملات التوعية المنظمة التي تهدف إلى تماسك المجتمع وترابطه اجتماعيًا وثقافيًا
4. إعطاء جميع الأطراف الفرصة للتحدث ورؤية مواقف كل منهم بوضوح و دون تحيز ومساعدة التفاهم من خلال تسهيل الاتصالات والمساعدة على تجنب سوء الفهم.
5. مراقبة ما يبث من برامج إعلامية التي تحض على العنف والكراهية وتشويه الحقائق وتزييف المواقف .
6. القيام بالتزاماتها نحو المجتمع من خلال أداء ملتزم بالدقة والصدق والموضوعية والتوازن .
7. مساعدة وسائل الإعلام في منع تداول الدعاية المغرضة، و بث المواد التحريضية ، والكراهية ، أو الشائعات الضارة التي تدمر المجتمعات و تمنع بناء الثقة.
8. تقديم تمثيل دقيق لأسباب الصراع، ووصف موضوعي للأوضاع في مناطق النزاع.
9. تجنب الصور النمطية والصور السلبية للجماعات ، والسكان ، والقادة والشعوب الأخرى والمساعد ة على مواجهة الصور السلبية.
10. توفير منصات الكترونية على الانترنت إيجابية وتشاركية لتبادل الأفكار ، والديمقراطية، وبناء الدولة .[8]

كلمة أخيرة : نقتبس كلمات من مؤتمر القمة العالمي لمجتمع المعلومات والإعلام بتونس عام 2005 وهي تلخص دور وسائل الإعلام في التسامح :

" تنطوي حرية الصحافة على مسئوليات. وحيث أن التكنولوجيات الجديدة تسمح بحرية غير مسبوقة "للإعلام الجديد" على الإنترنت، فإنه لا يجب استخدامها من أجل تشجيع عدم التسامح والبغضاء. وبدلاً من هذا، لابد لقيم التسامح، والحوار، واحترام التنوع أن تكون أساساً لمجتمع معلومات عالمي يكون شاملاً بمعنى الكلمة. فلابد لمجتمع المعلومات من تقريب العالم بدلاً من إضافة انقسامات جديدة إليه، والسعي لخلق بيئة عالمية تتسم بالمزيد من العدالة والانسجام[9]."

الهوامش

[1] http://www.un.org/arabic/conferences/wsis/faq1.htm

[2] **Promoting Tolerance**
http://www.unesco.org/new/en/social-and-human-sciences/themes/fight-against-discrimination/promoting-tolerance/

[3] Toni Ahlqvist, Asta Back, Minna Halonen & Sirkka Heinonen(2008) Social Media Roadmaps Exploring the futures triggered by social media ESPOO 2008 VTT RESEARCH NOTES 2454 VTT Technical Research Centre of Finland, Vuorimiehentie

[4] **The rise of social networking Changing the web as we know it**
http://www.itu.int/_page.print

[5] Claes H. de Vreese News framing: Theory and typology(2005) Information Design Journal + Document Design 13(1), 51–62

[6] صالح أبوأصبع (2010) الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة . عمان : دار البركة ص-ص(161-186)

7 Promoting Tolerance
http://www.unesco.org/new/en/social-and-human-sciences/themes/fight-against-discrimination/promoting-tolerance/

[8] **Gordon Adam& Lina Holguín :The media's role in peace-building: asset or liability?** Presented at *Our Media 3* Conference, Barranquilla, Colombia
www.**media**support.org/Documents%5Cpapers_and_articles%5CThe%20..

[9] http://www.un.org/arabic/conferences/wsis/faq1.htm